رِعَايَةُ كِبَارِنَا

الْخُطْبَةُ الْأُولَى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ، جَعَلَ إِكْرَامَ الْكِبَارِ مِنْ كَرِيمِ الْخِصَالِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهُ.

أَمَّا بَعْدُ: فَأُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْقَائِلِ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ**﴾[١].

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: فِي أَحَدِ الْمَوَاقِفِ النَّبَوِيَّةِ الْعَظِيمَةِ، جَاءَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَبِيهِ -وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا- يَقُودُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَآهُ ﷺ قَالَ: «**هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيَهُ فِيهِ؟**»[٢]. أَلَا مَا أَعْظَمَهُ مِنْ مَوْقِفٍ! يُعَلِّمُنَا فِيهِ ﷺ تَقْدِيرَ الْكِبَارِ وَاحْتِرَامَهُمْ، فَهُمْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ عِنْدَ رَبِّهِمْ، أَلَمْ يَقُلْ ﷺ: «**خِيَارُكُمْ أَطْوَلُكُمْ أَعْمَارًا، وَأَحْسَنُكُمْ أَعْمَالًا**»[٣]، وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ مَنْزِلَتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ؛ فَإِنَّ تَوْقِيرَهُمْ مِنْ تَعْظِيمِهِ جَلَّ فِي عُلَاهُ، يَقُولُ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ: إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ**»[٤]، فَلَا يَلِيقُ بِمُؤْمِنٍ أَنْ يُفَرِّطَ فِي حَقِّ الْكَبِيرِ، أَوْ يَبْخَسَهُ مَا لَهُ مِنَ الْمَكَانَةِ وَالتَّقْدِيرِ، قَالَ ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا؛ فَلَيْسَ مِنَّا**»[٥]. وَكَيْفَ لَا نُقَدِّرُهُمْ؟ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْبَرَكَةَ مَعَهُمْ، يَقُولُ حَبِيبُنَا ﷺ: «**الْبَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمْ**»[٦]، فَاللَّهَ اللَّهَ فِيهِمْ! تَفَقَّدُوهُمْ قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُوهُمْ،

وَاجْلِسُوا إِلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ تَجْلِسُوا عِنْدَ قُبُورِهِمْ، أَجْلِسُوهُمْ وَسْطَ أُسَرِكُمْ، وَبَيْنَ أَحْفَادِهِمْ؛ لِتُؤْنِسُوا حَيَاتَهُمْ، وَأَنْصِتُوا لِحَدِيثِهِمْ، وَلَا تَنْشَغِلُوا بِهَوَاتِفِكُمْ عَنْهُمْ، وَلَا تَسْبِقُوهُمْ بِالْكَلَامِ؛ مُقْتَدِينَ بِهَدْيِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، الَّذِي قَالَ لِأَصْغَرِ الْقَوْمِ حِينَ بَدَأَ بِالْكَلَامِ: «**كَبِّرْ كَبِّرْ**»(٧). وَهَذَا مَا دَأَبَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فَهَا هُوَ سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: "**لَقَدْ كُنْتُ غُلَامًا أَحْفَظُ عَنْهُ ﷺ، فَمَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا أَنَّ هَاهُنَا رِجَالًا هُمْ أَسَنُّ مِنِّي**"(٨)، وَتَابِعُوا عِلَاجَ كِبَارِكُمْ، وَلَا تُحَمِّلُوهُمْ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعِبَادَاتِ، فَقَدْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَأَنْزَلَ أَحْكَامًا تُنَاسِبُ أَحْوَالَهُمْ، ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ**﴾(٩)، وَأَطِيبُوا لِكِبَارِكُمُ الْكَلَامَ، فَكُلَّمَا تَقَدَّمَتْ أَعْمَارُهُمْ؛ رَقَّتْ قُلُوبُهُمْ، فَاحْذَرُوا أَنْ تَكْسِرُوا خَوَاطِرَهُمْ بِنَظْرَةٍ، أَوْ تَجْرَحُوهُمْ بِكَلِمَةٍ، وَتَأَمَّلُوا أَمْرَ خَالِقِكُمْ: ﴿**إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا**﴾(١٠).

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾(١١).

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.

أَمَّا بَعْدُ: فَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: إِنَّ فِي تَوْقِيرِ الْكِبَارِ تَقْدِيرًا لِحِكْمَتِهِمْ وَخِبْرَتِهِمْ، الَّتِي تَنْتَفِعُ بِهَا الْأَجْيَالُ، فَهُمْ مَوْضِعُ مَشُورَتِنَا، وَذَاكِرَةُ مُجْتَمَعِنَا، وَهُمُ السَّوَاعِدُ الَّتِي بَنَتْ، وَالنُّفُوسُ الَّتِي أَعْطَتْ، وَلَمْ تَنْتَظِرْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا، وَحَقُّهُمْ عَلَيْنَا تَمَامُ الْوَفَاءِ وَالْعِنَايَةِ، وَحُسْنُ الِاهْتِمَامِ وَالرِّعَايَةِ، وَأَنْ نَغْرِسَ فِي أَبْنَائِنَا أَنَّ احْتِرَامَهُمْ دِينٌ وَدَيْنٌ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: «**مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ**»[١٢]، وَأَيُّ مَعْرُوفٍ أَكْبَرُ مِنْ مَعْرُوفِ كِبَارِنَا، الَّذِينَ أَفْنَوْا أَعْمَارَهُمْ فِي تَرْبِيَتِنَا وَبِنَاءِ الْوَطَنِ، لِذَا كَانَ إِكْرَامُ الْكِبَارِ مِنْ صَمِيمِ هُوِيَّتِنَا الْإِمَارَاتِيَّةِ، الَّتِي تَوَّجَتْهَا عِنَايَةُ قِيَادَتِنَا الْحَكِيمَةِ بِهِمْ؛ وَفَاءً وَرِعَايَةً لَهُمْ.

هَذَا وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا بَارِّينَ بِكِبَارِنَا، مُوَفِّينَ بِحُقُوقِهِمْ، وَأَسْبِغْ عَلَيْنَا فَضْلَكَ، وَلَا تَحْرِمْنَا أَجْرَكَ.

اللَّهُمَّ أَدِمْ عَلَى دَوْلَةِ الْإِمَارَاتِ عِزَّهَا وَنَصْرَهَا، وَاسْتِقْرَارَهَا وَازْدِهَارَهَا، وَخَيْرَهَا وَرَخَاءَهَا.

اللَّهُمَّ احْفَظِ الشّيخ مُحَمَّد بْن زَايد رَئِيسَ الدَّوْلَةِ بِحِفْظِكَ، وَكُنْ لَهُ عَوْنًا وَسَنَدًا، وَبَارِكْ فِي عُمْرِهِ وَعَمَلِهِ، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُ وَنُوَّابَهُ وَإِخْوَانَهُ حُكَّامَ الْإِمَارَاتِ، وَوَلِيَّ عَهْدِهِ الْأَمِينَ؛ لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ.

اللَّهُمَّ ارْحَمِ الشّيخ زَايد، وَالشّيخ رَاشِد، وَشُيُوخَ الْإِمَارَاتِ الَّذِينَ انْتَقَلُوا إِلَى رَحْمَتِكَ، وَأَدْخِلْهُمْ بِفَضْلِكَ فَسِيحَ جَنَّاتِكَ.

اللَّهُمَّ اشْمَلْ شُهَدَاءَ الْوَطَنِ بِرَحْمَتِكَ وَغُفْرَانِكَ.

اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ: الْأَحْيَاءَ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتَ.

عِبَادَ اللَّهِ: اذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ. وَأَقِمِ الصَّلَاةَ.

---

(١) النحل: ١٢٨.
(٢) أحمد: ٢٧٧١٥.
(٣) أحمد: ٩٤٧٣، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠٣/١٠ رجاله رجال الصحيح.
(٤) أبو داود: ٤٨٤٣.
(٥) أبو داود: ٤٩٤٣.
(٦) ابن حبان: ٣١٩/٢.
(٧) متفق عليه. وهو عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ سَهْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٨) مسلم: ٩٦٤.
(٩) البقرة: ١٨٤. و"قال ابن عباس: هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينًا". تفسير ابن كثير: (٢/ ٥٦).
(١٠) الإسراء: ٢٣.
(١١) النساء: ٥٩.
(١٢) أبو داود: ١٦٧٢.